

الحلقة الخامسة والعشرون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

تراود الكثيرين لا سيما في سن الشباب تساؤلات لا بل شكوك عديدة حول ما ترووا عليه من عقائد وتعاليم. ويبدأون بالتساؤل عن صحة المعلومات التي تلقوها، وفيما إذا كانت صحيحة. لا بل يتجه البعض منهم نحو رفض هذه العقائد والتعاليم. وهو ما نطلق عليه بالتمرد والرفض.

هل تعلم مستمعي أن طرح التساؤلات هو أمر صحي وجيد. إذ هذا دليل على أن هذا الشخص الذي يطرح التساؤل يفكر جيداً بما تعلمه وترى عليه. وأنه يريد أن يكتشف الحقائق بنفسه، وأن لا ينقاد مع عواطفه، أو ينجرف وراء الأغلبية الساحقة دون وعي أو تفكير. وكذلك إن فحص العقائد والشك بها لهو أمر طبيعي، إذ يدل على حيوية الإنسان، ورغبته في البحث والاستقصاء لمعرفة الحقيقة.

هل تعلم مستمعي أن مرحلة الشك هذه مر ويمر بها الكثيرون من الناس؟ ولدينا في الإنجيل المقدس قصة مثيرة دُونت لنا عن نبي تساعل وشك. هذا ما جاء فيها: «أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السَّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: «أَذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: الْعُمَى يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشِّرُونَ. وَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْثُرُ فِيَّ» (بشارة متى ١١: ٢-٦).

إن يوحنا هنا هو يوحنا المعمدان المعروف بالنبي يحيى. وقد سجنه الملك هيرودس بسبب توبيخه له على زواجه من امرأة أخيه هيروديّا. لكن بالرغم من أن يوحنا المعمدان سبق له أن شهد عن المسيح، أنه هو المخلص الآتي، نراه هنا يشك به ويُرسل من يسأله: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ أي هل أنت هو المخلص الملك الذي تنبأ عنه الأنبياء منذ القديم بمجيئه؟ وهل أنت هو الشخص الذي

مهّدت أنا الطريق أمامه قبل عدة أشهر، وشهدت عنه أنه هو فعلاً المسيح مخلص العالم؟ إنها بالحقيقة تساؤلات هامة سنتأمل بها وبجواب المسيح عنها.

مستمعي العزيز، لعل السؤال الذي يجب علينا أن نطرحه هو: لماذا تساءل يوحنا المعمدان وشكّ بأن المسيح هو حقاً المسيح المنتظر؟ وللجواب نقول: لأنه كان ينتظر المسيح الذي سيملك على الأرض، ويزيل الفساد والشر. المسيح الذي سينقذه من السجن وهو النبي الذي شهد عنه.

لكن إجابة المخلص المسيح كشفت له حقيقة مهمته وإرسالته على الأرض. فهو لم يأت ليؤسس ملكوتاً أرضياً، كما كان يظن الكثيرون من اليهود في زمانه، بل ملكوتاً روحياً سماوياً. وما العجائب التي يقوم بها إلا تأكيد واضح، وبرهان ساطع على مهمته الروحية وإرسالته السماوية. فما هم العمي يُبصرون، والعرج يمشون، والبصر يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يُبشرون. فهل هناك من دليل ساطع وبرهان أقوى من هذه الدلائل والبراهين التي تؤكد على أنه هو المسيح الملك والمخلص المنتظر الذي تنبأ عنه الأنبياء في القديم؟

وكان النبي إشعياء قد تنبأ عن المسيح المخلص الملك الآتي قائلاً: «حِينَئِذٍ تَتَفَقَّحُ عُيُونُ الْعُمَى، وَأَذَانُ الصُّمِّ تَتَفَتَّحُ. حِينَئِذٍ يَقْفِرُ الْأَعْرَجُ كَالْإِئِيلِ وَيَتَرَنَّمُ لِسَانُ الْأَخْرَسِ، لِأَنَّهُ قَدْ انْفَجَرَتْ فِي الْبَرِّيَّةِ مِيَاهٌ، وَأَنْهَارٌ فِي الْفَقْرِ» (إشعياء ٣٥: ٥-٦). وقد تكررت مثل هذه النبوءة في سفر إشعياء وغيره عدة مرات. إذن لقد أجاب المخلص المسيح عن تساؤلات النبي يوحنا المعمدان مؤكداً له أنه هو المسيح المنتظر الذي شهد عنه. وأن أفعاله وعجائبه تبرهن على صدق ادعائه هذا. فهو قد أتى ليؤسس ملكوتاً روحياً وليس ملكوتاً أرضياً، يحرر الناس من سلطان الخطيئة وإبليس. وأن على يوحنا بالتالي أن لا ينتظر آخر.

صديقي المستمع، لعلّ الفقرة الأخيرة من كلام المخلص المسيح هي بيت القصيد، إذ ختم المسيح قائلاً: «وَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْتَرُ فِيَّ» أي يا لسعادة الإنسان الذي لا يشكّ فيّ، وبالمهمة العظمى التي قد أتيت من أجلها إلى هذا العالم. ألا وهي إعطاء الخلاص للإنسان، وبدء ملكوت الله الروحي. هل تعلم مستمعي أن الكثيرين من البشر مازالوا يشكّون بالمخلص المسيح ويطرحون التساؤلات حول حقيقة شخصيته، وحول عمله الفدائي على الصليب؟ فبالنسبة إليهم هو ليس كلمة الله الأزلي، المخلص الوحيد، الذي تنازل من السماء وقدّم جسده على الصليب كفارة عنّا نحن البشر الخطاة. ويشكّون أيضاً بقيامته المجيدة من بين الأموات، ظانين أن الله رفعه

إليه حياً. غير عالمين أن المسيح بقيامته الظافرة وصعوده حياً إلى السماء، قد أكمل عمل الخلاص لنا نحن البشر، وبدأ فعلاً ملكوت الله الروحي الذي تتبأ عنه الأنبياء منذ القديم.

أجل مستمعي، إن المسيح بمجيئه إلى عالمنا، أعلن ملكوت الله، وتجلت فيه قوة الله ومدى محبته للبشر. إذ جال المسيح يصنع خيراً، فشفى المرضى، وأقام الموتى، وأشبع الجياع، وحرر الناس من عبودية الخطيئة وإبليس. ثم توج مجيئه بعمله الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من الأموات. هل مازالت لديك صديقي أية شكوك أو تساؤلات حول شخصية المخلص المسيح أو الهدف الذي أتى من أجله إلى عالمنا؟ نرجو أن تكون قد اقتنعت بإجابة المسيح الواضحة التي قدمها للنبي يوحنا المعمدان، وبالبراهين الأكيدة التي تحدثنا عنها في هذا البرنامج.

هل تعلم مستمعي أن كل من يؤمن اليوم بعمل المسيح الكفاري على الصليب وقيامته الظافرة، ينال الغفران الكامل عن خطاياها، ويصبح من أولاد الله، ويتأكد من حصوله على الحياة الأبدية؟ نرجو أن تفعل ذلك الآن وقبل فوات الأوان. وهكذا تحظى بالطوبى التي وجهها المسيح لكل من لا يعثر فيه أو يشك به.